رعاية الطفل اليتيم في الإسلام

إعداد
د. محمد محمود العطار
أستاذ مساعد -
جامعة الباحة سابقاً

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

وبعد: فإن الطفل ثروة الأمة وأساس مستقبلها، والنصوص الباقية عن العرب تدل على اهتمام العرب بالطفولة ومدى عناية أسلافنا بالطفل، فهم قرة أعين كما ورد بسورتي الفرقان والقصص من القرآن الكريم؛ قال تعالى: «وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً» (الفرقان:٧٤)، وقوله تعالى: «وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ» (القصص:٩)؛ فالأطفال هم زينة الحياة الدنيا وعز الأهل، قال تعالى: «الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً» (الكهف:٤٦).

وتدور كلمة اليتيم في اللغة على الانفراد والضعف والحاجة، أما اليتيم في الشرع: فهو مَن فقَد أباه وهو دون البلوغ، فالطفل اليتيم هو إنسان فقد عائله، ومُعينه، في وقت صغره، وضعفه، وقلة خبرته، ومعرفته، فغدا بلا حماية، ولا ناصر، ولا مُعين، ولذا كانت حاجته شديدة إلى من ينهض به، ويقوم بأمره، ويرعاه ويكفل شئونه.

والطفولة هي المرحلة الأكثر أهمية في حياة الإنسان، ففيها يتحدّد كل شيء جسمياً ونفسياً وعقلياً واجتماعياً، وإذا كانت العناية بالطفولة ذات أهمية كبيرة، فإن أولى الأطفال بالعناية هم أولئك الذين في حاجة إلى الرعاية والعناية نفسياً واجتماعياً والذين فقدوا آباءهم فهم في أشد الحاجة إلى الرعاية الدائمة، والاهتمام الأكيد والصادق، حتى نعوضهم عن الحنان الذي فقدوه، والأبوة التي حُرموا منها، ولا يتأتى ذلك إلا في جوّ يفيض بالرحمة، فهم

Upload by: altawhedmag.com

بحاجة إلى الرعاية والاهتمام وتوفير الخدمات المادية والمعنوية، من خلال السكن، والكساء، والطعام، والملبس، والعناية الصحية والنفسية، والتعليم، والتدريب، وكل ما يوفر سبل العيش الكريم لهم، وبما يؤدي إلى تحقيق تكيفهم الاجتماعي والنفسي، ويعمل على دمجهم في المجتمع بشكل طبيعي.

ولقد اهتم الإسلام بالأيتام وبالتوصية بهم من حيث تربيتهم ورعايتهم وضمان سبل العيش الكريمة لهم، وكذلك النهى عن احتقارهم أو قهرهم، قال تعالى: «فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ» (الضحى٩-١٠)، فالطفل اليتيم ضعيف، يحتاج إلى اللطف، والرعاية، فهو طفل يفتقد الإحساس بالأمان والحماية الأسرية والتنشئة السليمة مما يجعله عُرضة للعديد من المشكلات النفسية والسلوكية التي قد تمنعه من التكيُّف مع المجتمع وتهدّد حياته المستقبلية.

إن الرفق باليتيم من سمات التوفيق إلى عزّ الدنيا، وكرامة الآخرة. يقول الله تعالى في سورة الفجر: «كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ . وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ» (الفجر:١٧-١٨)، ولقد روى البخاري حديث رسول الهدى صلى الله عليه وسلم: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة، وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى». وكافل اليتيم -كما يقول النووي رحمه الله- هو القائم بأموره من نفقة وكسوة وتأديب وتربية وغير ذلك، وهذه الفضيلة لمن كفله من مال نفسه أو من مال اليتيم بولاية شرعية.

إن العطف على اليتيم، ومن على شاكلته، ممن هم في أمس الحاجة إلى الرفق والحنان، ومن شانه أن يرقق القلوب، وأن يلين النفوس، وأن يطبعها على الشفقة، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه فقال: «امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين».

إن الرفق باليتيم والعطف عليه، ورعاية شؤونه، يبعث في النفوس رقة ويشيع في القلوب رحمة وليناً، وينشر في الشعور حساسية، ويبث في الوجدان تياراً من الإنسانية الرفيعة.

ولقد بشّر رسول الله صلى الله عليه وسلم كافل اليتيم بمنزلة عالية ودرجة رفيعة، وانه يكون جاراً له أو قريباً من الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم: «من ضم يتيماً بين أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله وجبت له الجنة». فلا يكفي أن ترسل إليه الطعام والشراب ليأكل وحده بعيداً فقد تشبع معدته وتبقى روحه عطشى إلى جو الأسرة بما فيه من مودة ورحمة.. وهو لون من الجوع لا يقل خطراً على لهفة الغريزة إلى الطعام.

ومن هنا يتحدث الرسول صلى الله عليه وسلم عن إيواء اليتيم ليعيش مع الأسرة واحداً منها.. له ما له وعليه ما عليها.. حيث ينشأ بين أحضان أسرة تُعوّضه عما فقده من حنان بفقدان والديه، وكذلك حتى تجد مواهبه الجو الذي تتفتح فيه بممارسة العلاقات الأسرية ممارسة تعد للحياة في المجتمع بمعناه الواسع.

ولقد سبق الإسلام النظريات والقوانين الوضعية وكذلك المؤسسات الاجتماعية التي تعمل على حماية الطفل، وتوفر له الضمانات التي تحفظ عليه كيانه وتوفر له السعادة، كما يدعو إلى العدل في معاملة الجميع خاصة الأطفال الأيتام، ويجعل لهم حقوقاً على الأسرة والمجتمع القيام بأدائها له.

ولقد أمر الله سبحانه وتعالى بحفظ أموال الأيتام، وعدم التعرض لها بسوء، وعد ذلك من كبائر الذنوب وعظائم

Upload by: altawhedmag.com

الأمور، ورتب عليه أشد العقاب، قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا» (النساء: ١٠)، وعد الرسول صلى الله عليه وسلم أكل مال اليتيم من السبع الموبقات، فعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله، وما هي؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» (البخاري: ٢٦١٥).

إن تجاهل الطفل اليتيم قد يؤدي إلى مأساة ينبغي أن تُعدّ العدة لتلافيها، بقدر ما يكون الإحسان إليه عنوان خلق فاضل وإرادة قوية تفتح الطريق أمام مواهب قد تغير مجرى الحياة وتحول سير التاريخ.

إن الطفولة في حاجة إلى عناية زائدة وإلى رعاية أكثر، وإذا كانت الطفولة في حاجة إلى عناية فائقة، تربيةً وتعليماً وتوجيهاً، وفي حاجة إلى الحنان والعطف الراعيين، دون إفراط إلى حدّ التدليل المفسد، ودون تفريط إلى حد الغلظة والقسوة، إذا كانت الطفولة في حاجة إلى كل ذلك، فإنها عند الأطفال الأيتام تكون أشد وأمس.

ومن المعروف أن اليتيم هو طفل اليوم، وهو رجل الغد، وستكون سلوكياته المستقبلية أسيرة التربية التي تلقاها في صغره، فإذا أخذ اليتيم حظه من التربية السليمة في صغره، انعكس هذا على شخصيته وعلى المجتمع الذي يعيش فيه، وجميل جداً إعطاء الطفولة من الرعاية ما يمكنها من قيامها بدورها في الحياة حتى تنهض في مسيرة الحياة وتتسلم رسالتها بعد ذلك.

والحمد لله رب العالمين.

تهنئة

يتقدم دعاة أنصار السنة المحمدية فرع منشأة البكاري بخالص التهنئة للباحث/ أحمد صباح سعيد معوض لحصوله على درجة الماجستير من كلية العلوم جامعة الأزهر يوم الاثنين الموافق ٢٠٢٦/٦/٢٩م؛ عن رسالته بعنوان «دراسات على بعض الميكروبات الملوثة لنهر النيل و معالجتها باستخدام جزئيات الألومنيوم النانوية».

وتكونت لجنة المناقشة من كلٍّ من:

أ. د/ عادل عبد الباسط موسى- مشرفًا ومحكمًا.

د/ عبد الله محمد أحمد - مشرفًا ومحكمًا.

أ.د/ محمد صلاح عزب- محكمًا داخليًا.

أ.د/ خالد عبد الفتاح الدجدج- محكمًا خارجيًا.

تهانينا للباحث بالحصول على الدرجة وتمنياتنا له بدوام التوفيق.

الرئيس العام

الشيخ/ أحمد يوسف

Upload by: altawhedmag.com